"قافلة الصمود" أم قافلة التآمر؟ في تشريح مسرحيّة سياسيّة رديئة الإخوان يعودون متنكّرين: قراءة في خبث القوافل وحكمة الرفض المصري

12 يونيو 2025

سياسة وتاريخ

4 دقيقة قراءة

www.saudieinstein.com

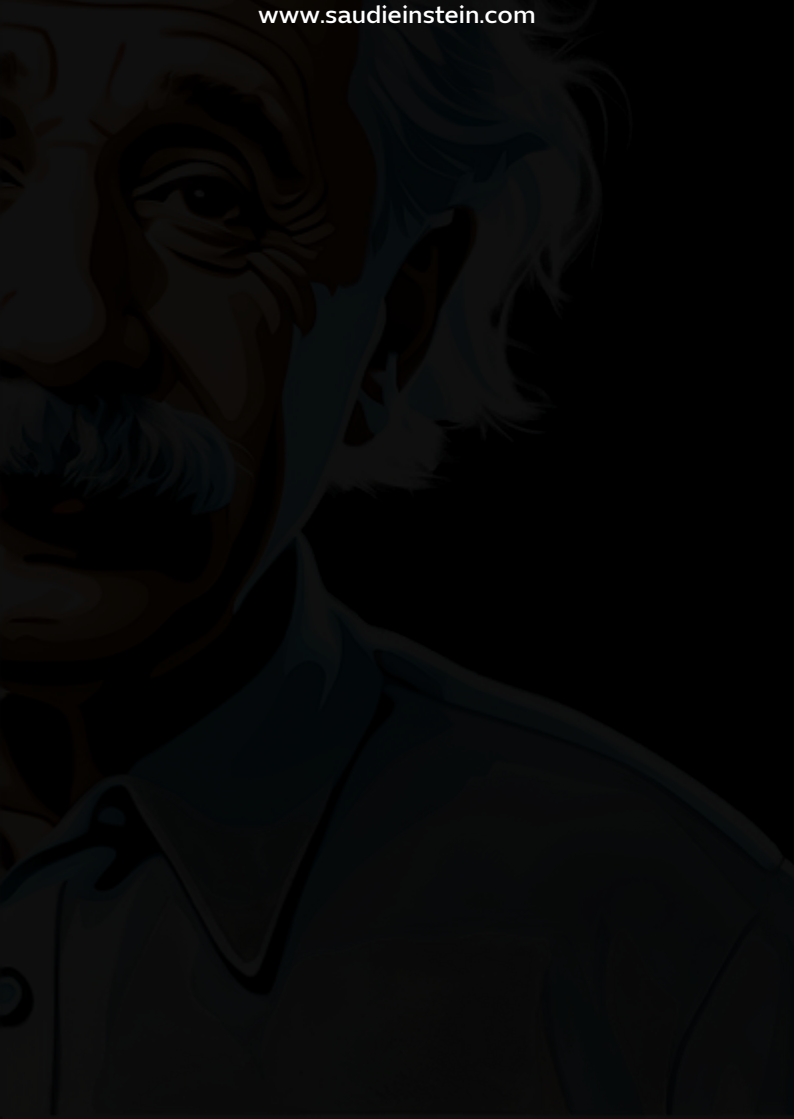

"قافلة الصمود" أم قافلة التآمر؟ في تشريح مسرحيّة سياسيّة رديئة الإخوان يعودون متنكّرين: قراءة في خبث القوافل وحكمة الرفض المصري

تبدو "قافلة الصمود" المزعومة كما لو أنّها خرجت من مخيّلة مخرج درامي رديء، أراد أن يصنع ملحمة تضامنيّة فانتهى به المطاف إلى مهزلة سياسيّة من الطراز الرخيص. ذاك أنّ القافلة التي انطلقت من ليبيا، عابرةً تونس، محاولةً اقتحام الحدود المصريّة، لا تحمل من الإنسانيّة إلاّ قشورها، ومن التضامن إلاّ أبواقه الصدئة. والحال أنّ مَن يتأمّل في تركيبة هذه المسرحيّة الهزليّة وتوقيتها المريب، لن يحتاج إلى عبقريّة استثنائيّة ليكتشف أنّنا أمام عمليّة محكمة التدبير، غايتها ليست إطعام جائع في غزّة أو مداواة جريح، بل وضع مصر في قفص الاتّهام أمام محكمة الرأي العامّ الأعمى.

بيد أنّ الأمر الأشدّ فجاجة، والذي يكشف عن

ذكاء يضاهي ذكاء الحمير، هو اختيار هؤلاء "المتضامنين" للطريق البرّي الأطول والأعقد، متجاهلين البحر الذي يفصلهم عن غزّة بساعات معدودة. لماذا لم يستأجروا مركباً من طرابلس أو صفاقس؟ ولماذا لم يكلّفوا أنفسهم عناء مكالمة هاتفيّة واحدة للتنسيق مع السلطات المصريّة وأخذ الموافقة الرسمية؟ الجواب أوضح من شمس الظهيرة: لأنّ الهدف لم يكن الوصول إلى غزّة، بل الوصول إلى عنق مصر وليّه أمام الكاميرات.

والمفارقة التي تدعو للضحك المرير أنّ التنظيم الدوليّ للإخوان، بعد أن طُرد من كل عاصمة عربيّة "محترمة"، وبعد أن صار اسمه مرادفاً للخيانة والإرهاب، يعود اليوم متنكّراً في ثياب

الإنسانيّة، متّخذاً من جراح غزّة مطيّة لعودته المشؤومة. أولئك الذين أشعلوا النار في كل بلد حلّوا فيه يتقمّصون اليوم دور رجال الإطفاء! لكنّ مصر، التي تعلّمت من تاريخها الطويل مع الأفّاقين والدجّالين، لم تنخدع بهذه المسرحيّة الرديئة. فالقاهرة التي فتحت معابرها لعشرات الآلاف من الجرحى الفلسطينيّين، والتي تستقبل يوميّاً مئات الأطنان من المساعدات المنظّمة، لا تحتاج إلى شهادة حسن سلوك من عصابة من المغامرين السياسيّين الذين يتاجرون بدماء الأبرياء. الفرق شاسع بين العمل الإنسانيّ المنظّم والمُنسّق، وبين السيرك السياسيّ الذي يتّخذ من المأساة الإنسانيّة خشبة مسرح لعروضه البائسة.

أغلـب الظـنّ أنّ وراء هـذا التـوقيت المحسـوب بدقّة صانع المتفجرات المحترف أصابع لا تكفّ عن العبث بأمن المنطقة. فبينما تقود الرياض جهوداً دبلوماسيّة حثيثة لوقف نزيف الدم في غزّة، وبينما تلعب القاهرة دور الوسيط القوي بيـن الأطـراف المتصارعـة، تخـرج علينـا هـذه القافلة المشبوهة لتخلط الأوراق وتعكّر صفو الميـاه. وكـأنّ أصـحابها يقولـون: دعـوا الحـرب مستعرة، دعوا الدماء تسيل، فنحن نتغذّى على الفوضى ونزدهر في الخراب!

مـن الريـاض، حيـث تُصـنع السياسات بعقـل بـارد وقلــب حــارّ، ننظــر كمــواطنين بعيــن الريبــة والاشمئـزاز إلـى هـذه المحـاولات المكشوفـة لابتزاز مصر ورئيسها وجيشها وإضعاف موقفها.

المملكـة التـي اكتـوت بنـار الإخـوان وأذيـالهم، تعـرف جيّـداً أنّ هـؤلاء لا يحملـون فـي جعبتهـم سوى الخراب والدمار. لهذا فإنّ وقوفها الحازم إلى جانب مصر ليس مجرّد تضامن عاطفي، بل هو موقف استراتيجي يدرك أنّ أمن مصر من أمن المنطقة بأسرها، وأنّ كل محاولة لزعزعة الاستقرار المصري هي طعنة في خاصرة الأمّة كلّها. والحقيقة المُرّة، التي تقضّ مضاجع دعاة الفوضى، هي أنّ الطريق إلى القدس لا يمرّ عبر تـدمير القـاهرة، وأنّ نصـرة فلسـطين لا تكـون بتفتيت مصر وابتزازها. هذه القوافل المسرحيّة، مهما تزيّنت بالشعارات البرّاقة والرايات الخفّاقة، ستبقى مجرّد فقاعات صابون تتلاشى عند أوّل احتكاك مع الواقع. أمّا مصر، القلعة الحصينة

والحارس الأمين، فستبقى صامدة في وجه كل المؤامرات، شامخة رغم كل المحاولات اليائسة لإركاعهـــا. وليعلـــم الحـــالمون بإســـقاطها أنّ أحلامهم ستتبخّر كما تبخّرت أحلام من سبقوهم، وأنّ التاريخ لا يرحم الحمقى مهما تقنّعوا بأقنعة النبل الزائف.